Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان لسيطرة الغاية التعليمية على الدرس البلاغي عامة وعند أصحاب هذا الاتجاه خاصة ـ فضلاً عن تأثرهم بالمنطق ـ الأثر الكبير في التقعيد لبلاغة الجملة أو الشاهد والمثال، يقول الأستاذ أمين الخولي: «تبدأ البلاغة على آخر نظام لها، بالبحث في المفردات وخصائصها وهو علم المعاني، ثم البحث في المركبات ودلالتها وهو علم البيان، ثم تحسين ثانوي وهو علم البديع. وفي هذ كله لم يتعد البحث دائرة الجملة رأوها نظيرة القضية كما سمعنا. فالبحث في المعاني إنما هو بحث في طرفي الجملة ـ المسند والمسند إليه ـ وتوابعهما،... ونجد أبحاث البيان لا تتجاوز دائرة الجملة أيضاً، إلا أن تكون جملاً متماسكة في أداء معنى واحد كتشبيه مركب أو مجاز كذلك، وهي جمل في منزلة الجملة الواحدة ... أما وراء بحث الجملة فلا تجد شيئاً»[١٥]

وتقعيدهم هذا للبلاغة يتجانس وتقعيد النحاة للنحو، حيث كانت «الجملة هي المدى الأقصى الذي وقف عنده النحاة، فلم يتناولوا وحدة أكبر منها، حتى حين كان النحاة يتكلمون عن عطف الجمل أو عن الاستدراك أو الإضراب إلخ. كان منطلقهم من علاقة الجملة الواحدة بأختها، ولم يحدث مرة أن شملوها معاً بمصطلح واحد يتخطى مفهوم الجملة»،[١٦] كما أن (الجملة) عند النحاة هي نظير (القضية) عند المناطقة[١٧].

ومن بعد كتاب (التلخيص) أقبل عدد من النُّظَّام على هذا الكتاب ونظموا ما جاء فيه، يقول حاجي خليفة: «وللتلخيص منظومات منها نظم زين الدين أبي العز طاهر بن حسن بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٨٠٨هـ ... وسماه التلخيص «التلخيص في نظم التلخيص»، وهو ألفان وخمسمائه بيت، ونظم شهاب الدين أحمد بن عبد الله القلجي الذي ولد سنة ٨٢٩... ونظم زين الدين عبدالرحمن بن العيني... ونظم الشيخ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ... سماه مفتاح التلخيص [عقود الجمان في المعاني والبيان]، ثم شرح هذا المنظوم وسماه عقود الجمان [حل عقود الجمان] .. ونظم الشيخ أبي النجاء بن خلف المعري الذي ولد سنة ٨٤٩»،[١٨] وهذه المنظومات مظهر من مظاهر الضعف الفكري والحضاري عند العرب في القرنين التاسع والعاشر الهجريين. ويمكن أن نقف على نموذج من هذه المنظومات، لنتعرف على هذا النظم وما فيه من ضعف. فجلال الدين السيوطي في أرجوزته (عقود الجمان) ينظم تعريف البلاغة وعلومها وفنونها فناً فناً، وفي شرحه لها يورد هذا النظم، ثم يعقب عليه بالشرح. ومن ذلك في نظامه لتعريف البديع، قوله: